

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[411] يدفعها إلى إقامة العدل، والدعوة إلى إشاعة الإنصاف، ومواجهة الظلم والظالمين. نعم، إنَّ القرآن هو الطريق الأقوم في كل تلك المستويات الأنفة الذكر، وهو الأسلوب الأقوم في كل جوانب الحياة والوجود، وعلى كافة القضايا والمُعد. ولكننا هنا نقف مع نقطة حساسة، وهي إذا كان القرآن هو الأقوم؛ أي "أفعل تفضيل" فمعنى ذلك تفوقه في ميزات العدل وصفات الهداية والإستقامة ليس على سائر المذاهب والعقائد الوضعية وحسب، وإنَّما على سائر الأديان والشرائع السابقة عليه أيضاً. وإزاء المفهوم الذي تطرحه هذه النقطة نرى أنفسنا بحاجة إلى إثارة الحديث على النحو الآتي. أولاً: إذا كانت أطراف المقايسة هي الأديان السماوية الأخرى، فلا شك أنَّ كل دين وشرعية منها كانت أفضل وأقوم لوقتها وزمانها، ولكن وفق قانون التكامل الذي وصلت البشرية بمُقتضاه إلى أقصى حالات رشدتها وتكاملها، في زمن الرسالة الإسلامية الخاتمة والذِّبوة الخاتمة، فإنَّ القرآن الكريم يعبِّر تبعاً لذلك عن أرقى وأقوم مضامين الهداية والإستقامة الإعتدال. ثانياً: أمَّا إذا كان طرف المقايسة هو المذاهب والعقائد الوضعية، فمن الطبيعي جداً أن يكون القرآن كتاب السماء الواصل إلينا من الله ذي العلم المطلق، هو الأقوم والأظهر عليها، لأنَّ العقائد الوضعية مهما بلغت مزاياها فهي نتاج الفهم المحدود للبشر. ثالثاً: أشرنا في غير مكان إلى أن "أفعل تفضيل" لا يدلُّ دائماً على أنَّ الموضوع لا بدَّ وأن يكون طرفاً للمقايسة، كما في قوله تعالى: (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلاَّ أن يُّهدى) (1). _____ 1 - يونس، 35.